تطور الجانب الفونولوجي من اللغة عند الطفل

م.م. آية علي ناصر
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية قسم اللغة العربية

(مُلَخَّصُ البَحث)

حظيت اللغة باهتمام علماء العربية قديمًا وحديثًا، وقد اتجهت جهودهم اللغوية في ذلك صوب اللغة التي يتداولها الراشدون، ومحاولة إرشادهم إلى سبل استعمالها استعمالًا بليغًا متجنبين في ذلك الاخطاء النحوية والصرفية والإملائية –حين ممارسة الكتابة– ، لكنهم في الوقت نفسه اهملوا دراسة جانب مهم من اللغة وهو لغة الطفل، وتطور هذه اللغة، وما يصيبها من تغييرات ترافق مراحل نموها حتى يتمكن الطفل من استعمال اللغة استعمالًا صحيحًا كما يفعل الراشدون، فلم نجد عالمًا أفرد مؤلَّفًا تناول هذه المسائل، أو قدَّم لنا تعليلات لغوية للمظاهر التي ترافق نمو اللغة عند الطفل، غير إشاراتٍ عابرة في ثنايا كتبهم. بيد أنَّ الحال لم يبقَ على ما هو عليه سابقًا، فبعد التطور الكبير الذي حدث في الدراسات اللغوية في العصر الحديث طرق هذا الباب كثيرٌ من علماء الغرب وكذلك من علماء العرب، لكن الدراسات في هذا الجانب لا تزال قليلة، وهذا ما دفع الباحثة لإجراء عدة بحوث تتناول اللغة عند الطفل، ومن هذه البحوث دراسة تطور الجانب الفونولوجي من اللغة عند الطفل، حتى يقف دارس اللغة على تطور هذا الجانب من اللغة عند الطفل، ومراحل هذا التطور حتى يصل الطفل إلى الاستعمال الصحيح للغة.

المقدمة:

منذ القدم وجَّه فريقٌ من علماء الأصوات اللغوية أكبر عنايتهم إلى دراسة مسألة إحداث المتكلم للأصوات، فضلًا عن دراسة مسألة انتقال هذه الأصوات في الهواء، وتلقي أُذن السامع لها، فمهمة علم الأصوات اللغوية دراسة الصوت الحي للإنسان في سياقاته النطقية الفعلية، وتحليل السلسلة الكلامية إلى العناصر التي يمكن تجريدها، ثم وصف الطريقة التي يتكون بها كل عنصرٍ من هذه العناصر(١)، لكن في السياق نفسه اهمل علماء الأصوات اللغوية دراسة جانب مهم من الاصوات يتمثل في طفولة هذه اللغة، فقلَّ أنْ تجدَ عالمًا من علماء الأصوات اللغوية مهتمًا بدراسة المراحل التي يمر بها الصوت عند الطفل حتى يصل إلى مرحلة الاستعمال الصحيح له، ودراسة أسباب هذا التدرج في الارتقاء،

وعلى الرغم من وجود جانب كبير من هذا الموضوع يقع في اختصاص علماء الأصوات اللغوية – فهم الأجدر والأولى في تقديم وصفٍ صحيحٍ للأصوات، وإعطاء التعليلات الصوتية الصائبة للمظاهر الصوتية التي ترافق النمو اللغوي عند الطفل– تجدهم يتركون هذه المهمة لعلماء النفس المهتمين بدراسة جانب النمو اللغوي عند الطفل، لذلك وجَّهت الباحثة اهتمامها صوب هذا الموضوع للوقوف على التغيرات والتطورات التي ترافق مراحل نمو اللغة عند الطفل حينما يشرع في إقامة علاقات ترابطية بين الأصوات لتركيب الكلمات والجمل، ومظاهر نموها وتطورها، وأسباب ذلك، فضلًا عن تقديم وصف موجز لمفهوم الفونيم والانسجام الفونيمي والفونولوجيا؛ لأنها مفاهيم مرتبطة بجانب لغة الطفل ارتباطًا كبيرًا؛ فهي تمثل المكونات الاساسية والازمة لها.

الفونيم (Phoneme):

وهو مصطلح انكليزي، ويعني الرمز الصوتيّ النطقيّ اللغويّ الخام، الناشئ من إحدى الحجرات الصوتية المختلفة نتيجة للحركات التلقائية لأعضاء النطق، ولاشتراك الحجرات الصوتية المختلفة، فأعضاء النطق والحجرات الصوتية هما أداتا النطق الأساسية في بناء الفونيمات، وتكوينها، وإنتاجها في أي لغة من لغات العالم؛ لذلك يختلف وصف الفونيمات وتصنيفها من لغة إلى أخرى تبعًا للاختلاف الفسيولوجي لأعضاء النطق والحجرات الصوتية فقط، التي تختص بنطق كل لغة على حدة(٢). وقد جرى العرف عند بعض الدارسين تصنيف الفونيم إلى صنفين، الأول: (الفونيم الرئيس Primary phoneme)، والثاني: (الفونيم الثانويّ secondary phoneme)، وهذا التصنيف الثنائيّ هو المنهج السائد في الأوساط الامريكية، ولاسيما مدرسة بلومفيلد واتباعه، وقد أخذ بهذا التصنيف كثيرٌ من اللغويين في العالم(٣).

ومعنى الفونيم الرئيس هو ذلك العنصر الذي يكون جزءًا أساسيًا من بنية الكلمة المفردة كالباء والتاء... وغيرهما بوصفها وحدات منعزلة عن السياق، وبذلك لا يكون لها معنى، أما الفونيم الثانويّ فهو ذلك العنصر الذي يكون جزءًا أساسيًا من بنية الكلمة ويظهر ويُلاحظ في الكلام المنطوق بوصفه وحدة نطقية ضمن السياق الفعلي(٤)، وبذلك يكون له معنى، فيؤدي تغييره إلى تغيير في المعنى، فكلمة (صَادَ) تختلف عن كلمة (سَادَ) في اللغة العربية؛ نظرًا لاختلاف الفونيم الاول في الكلمتين السابقتين(٥).

ومن ناحية أخرى رأى اللغوي الانكليزي دانيال جونز تحليل الفونيم الواحد إلى أفراد تسمى الوفونات، والالوفونات كل مظهر مادي مختلف للفونيم، ومعنى ذلك أنَّ الفونيم واحد، والالوفونات تنوعات نطقية له(٦). انطلاقًا من هذا عرَّف أحد الباحثين الفونيم متأثرًا بما ذهب إليه دانيال جونز قائلًا إنَّ الفونيم "هو عبارة عن الصور المختلفة للصامت الواحد، وهذه الصور الصوتية المختلفة يُعبَّر عنها في الكتابة برمز كتابي واحد"(٧). فمثلًا الرمز الكتابي لصوت النون هو: ن، والتنوعات النطقية له كثيرة من ذلك:

– نجد النون الساكنة قبل الصامت الشفوي الاسناني الفاء تُنطق شفوية اسنانية، نحو كلمة: انفلق

– ونجد النون الساكنة قبل الصوت الاسناني اللغوي كالطاء تُنطق اسنانية لثوية، نحو كلمة: انطلق

وإنما حدث هذا الاختلاف والتنوع نتيجة لموقع فونيم النون من الكلمة، فضلًا عن نوع الصوت المجاور له، واختلاف صفاته(٨).

الانسجام الفونيمي:

يتكون الفونيم على هيأة حزمة صوتية، مؤلفة من عدد محدد من الذبذبات في الثانية، وتختلف الحزمة الصوتية في شكلها وتركيبها تبعًا لاختلاف الفونيمات، إذ لكل فونيم حزمة صوتية خاصة به، ومميزة له. ومن المعلوم أنَّ لكل فونيم من الفونيمات في أي لغة من اللغات صفاته الذاتية، كطريقة الإنتاج، والشكل، والتكوين، والصفات، والخصائص، والرنين الخاص به، الزمن المحدد له، فضلًا عن أعضاء نطق وحجرات صوتية محددة مسؤولة عن إصداره(٩). لكنْ حينما تدخل هذه الفونيمات في علاقات ترابطية مع غيرها من الفونيمات غالبًا ما يلحقها تغييرات في صفاتها الذاتية وخصائص انتاجها المخرجية؛ لاختلاف تركيب الفونيمات مع بعضها وتفاعلها، فبسبب هذا التفاعل تنسجم فونيمات الكلمة فيما بينها بطريقة تلقائية وعفوية.

وفي الوقت الذي يمثل فيه الفونيم العنصر الأول الذي يدخل في تركيب الوحدة الصوتية التي تسمى الكلمة الصوتية، أو المورفيم، أو اللفظ، لا يكون لهذا الفونيم حياة أو معنى مستقل بمفرده في معظم اللغات إلا بعد دخوله في علاقات ترابطية تجعله ضمن سلسلة معينة من الفونيمات المنطوقة المسموعة، شريطة أن يكون لها معنى، ويمكن تقطيعها لغويًا إلى مقاطع، مع إمكانية تحليلها لغويًا، ونطقيًا، وصوتيًا، وسمعيًا(١٠). ومعنى ذلك أنَّ الأصوات التي يشكلها الطفل في كلمات لا

يكون لها حياة إلا إذا عنى من ورائها التعبير عن معاني معينة، لكن في أثناء ذلك يتعلم الطفل كيفية النطق بالأصوات نطقًا صحيحًا، وكيفية عقد علاقات ترابطية تجمع ما بين الأصوات لتأليف الجمل، فيتعرض حينها لبعض الانحرافات النطقية الطبيعية، فبعض الأصوات يمكن للطفل النطق بها منفردًا أو مجاورةً للصوائت بصورة صحيحة، لكنه حالما يشرع في تشكيل الكلمات والجمل فتتجاور الأصوات فيما بينها تتعرض إلى بعض الانحرافات النطقية تفرضها طبيعة الاصوات المتجاورة في سياق نطقي معين، فضلًا عن المهارات النطقية المحدودة للطفل في مراحل حياته الأولى، فالأصوات عنده تمر في مرحلة النمو، وهي تتدرج في ذلك، لذلك يتغير نطق الطفل للكلمة الواحدة مرةً بعد مرة حتى يتمكن من إحداث انسجام فونيمي بين الأصوات المتجاورة، محافظًا في الوقت نفسه على النطق الصحيح لكل واحدٍ منها.

الفونولوجيا Phonology:

ظهر في أُوروبا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين علم حديث نسبيًا يسمى (علم اللغة) وذلك على يد لغويين أُوروبيين أمثال فرديناد دي سوسير، ونيكواي تروبسكي، ورومان جاكبسون، ولغويين امريكان أمثال ليونارد بلومفيلد، واوتو يسبرسن، وأدورد سابير، وقد عُني هذا العلم –علم اللغة– بدراسة اللغة الإنسانية دراسة علمية من جميع جوانبها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والاسلوبية، والتداولية، وقد انقسم هذا العلم على فرعين أساسيين هما: علم اللغة العام (النظري)، وعلم اللغة التطبيقي، وكلًّا منهما يندرج تحته عددٌ من الفروع(١١)، غير أنَّ ما يهمنا من بين هذه الفروع هو فرع الفونولوجيا، الذي نجده مرتبطًا عادةً بمصطلحٍ آخرٍ أطلق عليه العلماء مصطلح الفونتكس (phonetics)، فما أنْ تذكر أحدهما حتى تذكر الآخر، وكلاهما يعدان من صميم علم اللغة، ويندرجان تحت فرع علم اللغة العام النظريّ.

وقد استعمل دي سوسير اللفظ phonetics للدلالة على ذلك العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث، والتغيرات، والتطورات عبر التاريخ، في حين حدد مجال الـ phonology بدراسة العملية الميكانيكية للنطق(١٢). وبخلاف ذلك استعمل علماء اللغة الامريكان والانكليز مصطلح الـ phonology لعشرات السنين في معنى (تاريخ الأصوات)، ودراسة التغيرات والتطورات التي تحْدث في أصوات اللغة نتيجةً لتطورها، أما مصطلح الـ phonetics فقد استعمل للدلالة على العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية، ويحللها، ويصنفها، من غير الإشارة إلى تطورها

التاريخي(١٣). والباحثة تذهب في هذا الجانب إلى ما ذهب إليه الدكتور ابراهيم أنيس حينما جعل عناية مصطلح الفونتكس بالأصوات الإنسانية شرحًا وتحليلًا دون النظر إلى ما تنتمي إليه من لغات، لهذا فهو مصطلحٌ عالميّ، أما فرع الفونولوجي فهو يُعنى -كما يرى- بأثر الصوت اللغوي في تركيب الكلام نحوه وصرفه، ولهذا فضَّل أن يُطلِق عليه مصطلح علم الأصوات الذي يخدم بنية الكلمات وتركيب الجمل(١٤). وحين النظر إلى هذين المصطلحين من ناحية الاصطلاح، والاستعمال نجد مدلول الفونتكس أضيق نسبيًا من مفهوم الفونولوجيا، فالأول يُعنى بدراسة الأصوات بوصفها أحداثًا نطقية، دون النظر إلى قيم هذه الأصوات وصفاتها وخصائصها، في حين نجد الآخر معنيًا بدراسة الأصوات من حيث وظائفها في اللغة، وما تحمله من معانٍ، وما تخضع له من قوانين صوتية تفرضها عليها مجاورتها لغيرها من الأصوات(١٥). وعليه يُعنى مصطلح الفونتكس بدراسة الأصوات منفردةً، وأما الفونولوجيا فيُعنى بدراسة الأصوات حينما تدخل في علاقات ترابطية مع غيرها من الأصوات مؤلفةً كلمةً ذات معنى، لذلك على الدارس أنْ يبدأ حين دراسته لأصوات اللغة بالمستوى الأول (الفنوتكس) ثم ينتقل من الجزء إلى الكل متمثلًا بالمستوى الثاني (الفونولوجي).

لكنَّ الأمر غير ذلك من الناحية العملية المتمثلة بالأداء اللساني، فالإنسان إذا أراد التكلم فعليه أنْ يبدأ بالمستوى الفونولوجيا؛ لأنَّ المرحلة الاولى من الكلام تقتضي أنْ تتكون الفكرة لدى المتحدث، وحينها يقوم الدماغ بتحديد الأصوات ذات العلاقة، وجمع المفردات ذات العلاقة بتلك الفكرة، مع تطبيق قواعد النحو والصرف على المفردات؛ لتأتي السياقات الكلامية بصورة سليمة وصحيحة قواعديًا، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة الفونتكس، فتصدر الأوامر من الدماغ إلى عضلات الجهاز الصوتيّ عبر الأعصاب فيقوم الجهاز الصوتي بإخراج الأصوات اللغوية التي نسمعها في أثناء التحدث مع الآخرين(١٦). ويطلق العلماء على هاتين المرحلتين (الفونولوجية والفونتكية) مصطلح المراحل الفسيولوجية اللازمة لإتمام عملية الكلام، وتتلخص بالمراحل الآتية(١٧):

١- مرحلة التصور

٢- مرحلة إصدار أصوات ألفاظ الكلام

٣- مرحلة التأكد من صحة رنين الألفاظ صونيًا ولغويًا وفسيولوجيًا.

وهذا الوصف الأخير لمراحل عملية الكلام يَصدُق على ما يُسمى بالنطق، وعليه يمكن تعريف النطق Articulation بأنه العمليات الحركية الكلية المستعملة في تخطيط الكلام وانتاجه(١٨).

التطور الفونولوجي عند الطفل:

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أنَّ التطور هو: "تحول تدريجي من حال إلى حال"(١٩)، وهو ايضًا تغير تدريجيّ يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها(٢٠)، ومنه قوله تعالى ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(٢١) نطفة وعلقة ومضغة(٢٢). يتبين مما سبق ذكره آنفًا أنَّ التطور هو تغير يحدث بصورة تدريجية متجهًا نحو الافضل، وخير مثال على ذلك نجده في تطور اللغة عند الطفل، واكثر مَن يلحظ هذا التطور التدريجيّ هما والداه اللذان يراقبان بشغف كيف تتحول صيحاته الأولى إلى أصوات، ثم تتمثل الأصوات في مقاطع تتشكل منها الكلمات التي تتجمع في وحدات كلية ذات معنى بصورة يستطيع الآخرون فهمها حينما تصدر عنه، ويستطيع الفرد نفسه فهمها حينما يسمعها صادرةً عن الآخرين، وكل مرحلة من هذه المراحل تتعرض فيها لغة الطفل إلى تغييرات فونتكية وفونولوجية كثيرة حتى تصل إلى صورتها المثالية المتمثلة بالاستعمال المماثل للغة بيئته(٢٣).

وفيما يختص بالمستوى الصوتيّ الفونولوجيّ من لغة الطفل نجده ينماز بالمظاهر الثلاثة الآتية(٢٤):

١- الخصائص الجسمية التي تتضمن تنظيم الأصوات وإدخالها، وتصنيف المقاطع، والتغييرات في تحديد المقاطع الصوتية.

٢- الخصائص الإدراكية وتشمل الإطالة، والنبر، والنغمة، وتأثير الأصوات المجاورة، وطبقة الصوت، وعلوه، وتردده.

٣- الخصائص الانتاجية وتتمثل في مكان النطق وطريقته، وأثر التقطيع الصوتي في نقاط الفوارق.

ولا يصل الطفل إلى مرحلة الاستعمال الصحيح لأصوات لغته، ومفرداتها، وتراكيبها إلا بعد مروره بمراحل التطور النمائي للقدرة على تحريك أعضاء النطق بطريقة دقيقة وسريعة كما يحدث عند أي إنسانٍ عاديّ حينما يشرع بالكلام في أي وقت. وهذا يقودنا إلى أمرٍ آخر لابد من الإشارة إليه وهو أنَّ جميع البشر يكتسبون لغتهم الأم (الأصلية) في أثناء سنين حياتهم الاولى، وتكون هذه المعلومات المكتسبة بشكل كبير من النوع اللاواعي، بمعنى أنَّ الأطفال الصغار يستطيعون أنْ يتعلموا كيف ينطقون أصوات بيئتهم، وكيف يشكلون تراكيب قواعدية معينة كالجمل

الموصولة مثلًا دون أنْ يكونوا واعين بأنَّ هذه الجمل موصولة، وأنَّها تؤدي وظيفة وصفية(٢٥). والأمر يحدث بالطريقة نفسها حينما يكتسب الطفل النظام الصوتيّ، فاكتساب المعلومات الصوتية يحدث بصورة عفوية أيضًا، فلا يكون للطفل أدنى فكرة عن طبيعة العلاقات التي تفرضها مجاورة صوت ما لصوتٍ آخر، وما تتعرض له هذه الأصوات من تغييرات في خواصها النطقية نتيجة لمجاورتها أصواتًا أخرى، ومعنى ذلك أنَّ الاطفال يعرفون ما يحتاجونه من هذه الأصوات حينما يشرعون في التعبير عن فكرة ما، بيد أنَّهم لا يعون ما يجري لهذه الأصوات من تغييرات صوتية قد ينتج عنها ادغام صوتٍ بآخر أو حذف صوتٍ، أو إبدال صوتٍ بآخر.

مراحل تطور الجانب الفونولوجي من اللغة عند الطفل:

أيسر وصف يمكن أنْ يشرح لنا عملية اكتساب الطفل لغة بيئته يتمثل في رغبة عفوية تنبع من داخل الطفل للتقليد، فالطفل السوي تدفعه غريزة التقليد فضلًا عن الحوافز التي يتلقاها من بيئته لتكرار عملية إخراج الأصوات والتلذذ بها "وعلى مر الايام يأخذ الطفل بالمقارنة والمقاربة بين أصواته وأصوات من حوله؛ وفي النهاية يُحاول انتاج أصوات مطابقة للغة السائدة"(٢٦). فالطفل يبدا بتعلم لغته الأم عن طريق المطابقة بين ادراكاته وأفعاله وتمثيلاته والملفوظات التي يسمعها(٢٧)

وفي هذا السياق ثمة أمرٌ لابد من الإشارة إليه وهو ضرورة التفريق بين عمليتين مختلفتين تقفان وراء اكتساب الطفل اللغة، الأولى هي عملية فهم الطفل لغة أهل بيئته الاسوياء، والثانية هي استعمال الطفل هذه اللغة، والعلماء يؤكدون أنَّ العملية الاولى تسبق الثانية، فالطفل يفهم بعض العبارات ويستجيب لها استجابات ملائمة قبل أنْ يستطيع استعمال اللغة بمعناها الدقيق(٢٨).

وفي هذا الجانب يقسم علماءُ النفس المختصون بدراسة لغة الطفل مراحل التطور اللغويّ على تقسيمات كثيرة، فمنهم من يجعلها أربع مراحل هي: مرحلة ما قبل اللغة، ومرحلة الهديل والضحك، ومرحلة المناغاة، ومرحلة التقليد، ومرحلة النطق والكلام (٢٩). في حين يفضل فريقٌ آخر جعلها مرحلتين فقط هما: مرحلة الاكتساب والارتقاء الفونيميّ (Phonemic)، وهي تبدأ بظهور الوحدات الصوتية للغة، ومرحلة الاكتساب والارتقاء الصوتيّ (Phonological) وهي تبدأ بظهور القواعد التي يجري من خلالها تركيب الأصوات في تتابعات لغوية مماثلة للتي يسمعها في بيئته اللغوية (٣٠).

أما الباحثة فتفضل أن تطلق على المرحلة الأولى مصطلح: مرحلة التصورات الفونتكية، وأن تطلق على المرحلة الثانية مصطلح مرحلة التشكيلات الفونولوجية، وفي السطور الآتية نتعرف خصائص كل مرحلة منها، وأهم التغييرات التي تتعرض لها لغة الطفل من الناحية الفونتكية والفونولوجية، وأسباب هذه التغيرات، علمًا أنَّ هاتين المرحلتين تبدآن منذ ولادة الطفل، وتستمران حتى بلوغه السن الخامسة أو السادسة، إذ يتمكن الطفل حينها من استعمال اللغة بصورة صحيحة وسليمة(٣١).

-أ- مرحلة التصورات الفنوتكية:

حينما يولد الطفل لا تكون أجهزته الإدراكية أو الصوتية قادرةً بعدُ على إصدار الكلام، ولكنها مع ذلك تكون مبرمجة بشكل عام بصورة تكتسب هذه القدرة بناءً على عملية نضج الجهاز العصبيّ المركزيّ(٣٢). وهذه المرحلة تمتد من ميلاد الطفل حتى نهاية سنته الاولى تقريبًا(٣٣)، يبدأ الطفل في أثنائها ببناء فونيمات اللغة وتكوينها وانتاجها(٣٤)، لذلك فضَّلتُ أن اطلق على هذه المرحلة: مرحلة التصورات الفونتكية؛ لأنها المرحلة التي يبدأ الطفل فيها باختبار جهازه النطقي من خلال إصدار مجموعة أصوات تمثل فونيمات اللغة التي يتعلمها.

أما الأصوات التي تظهر في هذه المرحلة فهي أصوات المد Vowel (٣٥)، فهي أشيع ظهورًا في هذه المرحلة من بقية أصوات اللغة(٣٦)، لسهولتها وخفتها في النطق، فهي تمثل القاعدة الأساسية التي ينطلق منها الطفل لتشكيل العلاقات الترابطية بين فونيمات الكلمات التي ينطق بها، ولن أطيل الحديث عن هذه المرحلة؛ فالطفل لا يمتلك لغة حقيقية في هذه المرحلة، وإنما مجرد مقاطع صوتية يشكلها من أصوات المد وأصوات أخرى يسهُل عليه النطق بها كالباء، والميم، والدال، والنون، والتاء(٣٧).

-ب- مرحلة التشكيلات الفونولوجية:

ليس من السهل تحديد المدة الزمنية الفاصلة لانتقال الطفل من مرحلة التصورات الفونتكية إلى مرحلة التشكيلات الفونولوجية، لكن هناك بعض القرائن التي يمكن من طريقها معرفة أنَّ لغة الطفل تتطور وتسير في تطورها بخطوات سديدة، من ذلك اتقان الطفل لاستعمال خمسين كلمة تقريبًا، فضلًا عن فهم الطفل لكلام الكبار، واتقانه انتاج عدد من الايحاءات الكلامية، ومع تباين الافراد في اكتساب الاحداث الكلامية والفونيمات، فانها بشكل عام تظهر في السلسلة النمائية الصوتية الآتية(٣٨):

١- الصوائت

٢- الاصوات الانفية

٣- الاصوات الانفجارية

٤- الاصوات الاحتكاكية

٥- الاصوات المزجية

وأهم ما يواجه الطفل في هذه المرحلة هو محاولة اتقان عملية الانتاج الصحيح لفونيمات لغته، وفي أثناء هذه المحاولات تظهر بعض التغيرات الشائعة في لغة الطفل، كأبدال الصوت المطلوب بآخر، فمثلًا يقول: (لوح) عوضًا عن (روح) أي اذهب، ويقول (دولا) عوضًا عن (دورا) وهي شخصية كارتونية، فالطفل اخفق في انتاج صوت الراء في المثالين السابقين فدفعه ذلك عفويًا إلى إبداله بصوت اللام، ومن التغيرات الشائعة أيضًا حذف الطفل للصوت الذي يُخفِق في انتاجه، فمثلًا يقول: (نان) عوضًا عن (حنان)، ويقول (لاس) عوضًا عن (كلاص) أي قدح، فحينما لم يستطع الطفل إنتاج صوت الحاء في بداية الكلمة الاولى، وصوت الكاف في بداية الكلمة الثانية عمد إلى حذفه عفويًا، وقد لا تقتصر ظاهرة الحذف هذه على حذف الصوت الاول من الكلمة، فقد يكون الحرف المحذوف في وسط الكلمة أو في آخرها، من ذلك قوله: (فاش) عوضًا عن (فراش)، وقوله: (آفة) عوضًا عن (آسفة)، وغير ذلك من الامثلة التي يلحظها بسهولة كل مَن يتداول الحديث مع طفلٍ صغير قد تجاوز عمر السنتين. وهذه الامثلة المتنوعة لمظاهر الحذف تدل على أنَّ سبب الحذف هو عجز الطفل عن نطق الصوت المطلوب بصورة صحيحة، مما يدفعه إلى حذفه.

وحتى يتمكن الطفل من النطق الصحيح بفونيمات الكلمة عليه أن يتدرب على انتاج هذه الفونيمات من خلال تكرار النطق بالكلمات، ويساعده في ذلك والده، من خلال حثه على نطق الكلمة التي يواجه صعوبةً في النطق بأحد فونيماتها بصورة صحيحة، وتشجيعه على إعادة نطق الكلمة مرات متكررة بصورة صحيحة. ومن الامثلة التي تبين تطور الجانب الفونولوجي من اللغة عند الطفل، وتطور مهاراته النطقية والعقلية حتى يصل إلى النطق الصحيح بالكلمة، الكلمات الآتية:

أَون ← عِنون ← عيون

مو ← موش ← موز

وحي ← لوحي ← روحي (أي: اذهبي)

سا ← ساوة ← سارة

بايبي ← بالبي ← باربي

من الامثلة المذكورة آنفًا نلمس محاولات الطفل لعقد علاقات ترابطية ملائمة بين فونيمات الكلمات التي يسمعها من محيطه اللغوي، محاولًا بصورة عفوية ايجاد انسجام فونيمي يجمع فيه بين المحافظة على أصوات الكلمة المنطوقة، وسهولة النطق بها، غير أنَّ هذا الأمر يدفعه بصورة غير مقصودة إلى إجراء تعديلات في بنية الكلمة وأصواتها، فحينما يسمع الطفل كلمة ما للمرة الأولى تجده يقوم عفويًا بحذف بعض أصواتها ؛ لورودها في تتابع نطقي يصعب عليه محاكاته بصورة صحيحة، لكنه بتكرار النطق بأصوات الكلمة يقوم بإبدال الصوت الذي حذفه في المحاولة السابقة بصوت آخر أيسر منه؛ بسبب تطور مهاراته الحركية للتحكم بحركة أعضاء النطق، ففي المثال الاول كلمة (أُون) حذف الطفل صوت الياء؛ لأنه عجز عن النطق به حينما ورد في هذا التتابع النطقي المحدد، فضلًا عن إبداله صوت العين همزةً، لكنه في مراحل لاحقة تطورت فيها المهارات النطقية لديه يقوم عفويًا بإبدال صوت الياء نونًا؛ لأنَّ هذا التتابع النطقي أيسر لديه، ويستمر الطفل في نطق هذه الكلمة مرات متعددة، حتى يتمكن من النطق بفونيمات هذه الكلمة بصورة صحيحة. أما في المثال الثاني فنجد الطفل قد حذف صوت الزاي من الكلمة الأصلية (موز) ؛ لأنَّه وجد صعوبةً في النطق به، لكنه بتكرار محاولة النطق بالكلمة يُبدل صوت الزاي شينًا؛ لأنه أيسر في النطق لديه من صوت الزاي فيقول (موش)، وهكذا تستمر محاولاته حتى يصل إلى النطق الصحيح بأصواتها. أما المثال الثالث المتمثل بكلمة (روحي) أي: اذهبي فنجد الطفل في محاولاته الاولى للنطق بأصواتها يلجأ إلى حذف صوت الراء، وهذا الأمر طبيعي؛ فجميع الأطفال يواجهون في سنوات حياتهم الأولى صعوبة في النطق به؛ لعدم سيطرتهم الكاملة على حركة عضلة اللسان التي تستلزم إحداث ضربات متكررة ومتناسقة على شقف الحلق، مما يدفعهم ذلك جميعًا إلى حذفه، أو إبداله بصوت أيسر منه في النطق كصوت اللام مثلًا، فنراه يقول (لوحي) بدلًا من (روحي)، وهكذا تستمر محاولاته حتى يتمكن من النطق بصوت الراء بصورة صحيحة. أما في المثال الرابع المتمثل بكلمة (سا) فنجد الطفل قد اجتزأ أيسر مقطع يمكن لمهاراته النطقية النطق به من فونيمات الكلمة جميعها، المتمثل بالمقطع الأول (سا)، وحينما تطورت مهاراته النطقية أكثر تمكن من النطق بأصوات الكلمة جميعها، لكنْ مع إبدال الراء واوًا؛ لصعوبة النطق بصوت الراء في هذه المرحلة؛ وذلك لعجز جهازه النطقي عن انتاج هذا الصوت في هذا الوقت فلجأ إلى إبداله بصوت الواو، وهو صوت أيسر منه في النطق. أما فيما يتعلق بالمثال الأخير المتمثل بكلمة (باربي) وهي لُعبة

تعشقها جميع الفتيات الصغيرات فنجد الطفل يواجه صعوبة في النطق بصوت الراء يدفعه ذلك بصورة غير مقصودة إلى إبداله ياءً في بداية الامر، ومع تتابع المحاولات للنطق بأصوات الكلمة يبدل الراء لامًا، وهكذا تستمر محاولاته لمحاكات أصوات الكلمة حتى يتمكن في نهاية المطاف من النطق بأصوات الكلمة بصورة صحيحة. والأمثلة غير ما ذكرتُ كثيرة جدًا لكن التعليلات الصوتية للتغييرات التي تطرأ على بنية الكلمة وأصواتها لا تخرج عن إطار ما بينتُ.

نتائج البحث:

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

١- يكتسب الطفل لغة بيئته في سنين حياته الاولى، بيد أنَّ عملية الاكتساب هذه تسير بصورة تدريجية، وتمر بمراحل ارتقائية تبدأ من الاسهل إلى الاصعب، فتبدأ باكتساب فونيمات اللغة الاسهل نطقًا، والتي تتمثل بأصوات المد، ثم ينتقل تدريجيًا إلى اكتساب الصوامت الاسهل نطقًا، والتي تتمثل في الفونيمات: الباء، والميم، والدال، والتاء، فيشكل من هذه الصوامت مقاطع مفتوحة تتطور تدريجيًا لتتشكل منها الكلمات التي تتجمع لاحقًا في وحدات كلية ذات معنى.

٢- يكتسب الطفل المعلومات الصوتية بصورة عفوية، فلا تكون له ادنى فكرة عن طبيعة العلاقات التي تفرضها مجاورة فونيم لآخر، وما يجري لها من تغيرات في صفاتها الذاتية، وخواصها النطقية، مما ينتج عنه إدغام صوتٍ بآخر، أو حذفه أو إبداله بآخر.

٣- أهم ما يواجه الطفل في مرحلة تشكيل العلاقات الترابطية بين فونيمات اللغة لإنتاج الوحدات الصوتية المتمثلة بالكلمات هو اتقان عملية انتاج فونيمات اللغة بصورة صحيحة، وفي أثناء ذلك تتعرض فونيمات الكلمة إلى تغيرات كثيرة تتمثل في الحذف أو الإبدال أو الإدغام، فحينما يحاول الطفل النطق بكلمة ما ويواجه صعوبةً في النطق بأحد فونيماتها يلجأ إلى حذفه، وبعد تطور مهاراته العقلية والنطقية قليلًا يلجأ إلى إبدال الفونيم الذي واجه صعوبةً في النطق به في كلمة ما بآخر ايسر منه نطقًا، وأقرب إليه مخرجًا، بعد عجزه عن النطق به نطقًا صحيحًا، وبهذه الصورة تستمر عملية الإبدال الصوتي هذه حتى تصل امكانياته العقلية والنطقية إلى مرحلة تمكنه من النطق الصحيح بفونيمات الكلمة.

٤- أهم ما يساعد الطفل على تطوير مهاراته النطقية هو حث الوالدين له وتشجيعه على انتاج فونيمات الكلمة بصورة صحيحة، مع التأكيد المستمر على النطق

الصحيح بالفونيم الذي يواجه صعوبةً في النطق به حينما يدخل في علاقات ترابطية متنوعة مع غيره من الفونيمات.

هوامش البحث:

---

(١) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ١٠٠.

(٢) ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية، ١٠٦، وعلم الأصوات، بشر، ٤٧٧، ودراسة الصوت اللغوي، ١٦١و١٧٤.

(٣) ينظر: علم الأصوات، بشر، ٤٩٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) ينظر: الصوتيات العربية، ١٠.

(٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ١٨٤-١٨٥.

(٧) دراسة في علم الأصوات، ٦٣.

(٨) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ١٨٤.

(٩) ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية، ١٠٧-١٠٨

(١٠) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها، ودراسة الصوت اللغوي، ١٨٤.

(١١) ينظر: علم اللغة النفسي، العصيلي، ١٣-١٨، وعلم اللغة، الضامن، ٣٠، ومدخل إلى علم اللغة، فهمي حجازي، ١٧-١٨.

(١٢) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ٦٥.

(١٣) المصدر نفسه، ٦٦.

(١٤) ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس، ٣.

(١٥) ينظر: علم الأصوات، بشر، ٦٦-٦٧.

(١٦) ينظر: الصوتيات العربية، ١٢.

(١٧) ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية، ١٣٩١.

(١٨) ينظر: اضطرابات الكلام واللغة، ١٥٣.

(١٩) معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٤٢٠/٢.

(٢٠) ينظر: المعجم الوسيط، ٧٥٠/١.

(٢١) سورة نوح، الآية: ١٤.

(٢٢) ينظر: مجمع بحار الانوار، ٤٦٣/٣، وأساس البلاغة ٦١٦/١.

(٢٣) ينظر: تطور اللغة عند الطفل وتطبيقاته التربوية، ٢١٧.

(٢٤) ينظر: اضطرابات الكلام واللغة، ١٥٥.

(٢٥) ينظر: اكتساب اللغة الثانية، ٨.

(٢٦) بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة، ٧٠.

(٢٧) ينظر: الطفل واللغة، ١٠٣.

(٢٨) ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي،١٠٢، وسيكولوجية التطور الإنساني من الطفولة إلى الرشد، ٢٣٣-٢٣٤.

(٢٩) ينظر: اضطرابات الكلام واللغة، ٦٧-٦٩.

(٣٠) ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ١٠٣.

(٣١) ينظر: اكساب وتنمية اللغة، ٢٨، والنمو اللغوي عند الاطفال، ١٢-١٣.

(٣٢) ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي،١١٢.

(٣٣) ينظر: سيكولوجية التطور الإنساني من الطفولة إلى الرشد، ٣٧، ومباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث،٤٦.

(٣٤) ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية، ١٠٥.

(٣٥) ينظر: سيكولوجية اللغة والتنمية اللغوية لطفل الرياض ٤٨و٧٣، وأطلس أصوات اللغة العربية، ١٤١٣.

(٣٦) ينظر: علم اللغة، وافي، ١٣٠.

(٣٧) ينظر: التطور اللغوي عند الاطفال، ٨٩.

(٣٨) ينظر: اضطرابات الكلام واللغة، ١٥٨-١٥٩.

قائمة المصادر والمراجع:

١. أساس البلاغة، ابو القاسم محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود، من منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢. الأصوات اللغوية، الدكتور ابراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، (د ط)، (د ت).
٣. اضطرابات الكلام واللغة، التشخيص والعلاج، الدكتور ابراهيم عبد الله فرج الزريقات، دار الفكر للنشر، والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٤. اضطرابات اللغة والكلام، الدكتور قحطان أحمد الظاهر، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، الطبعة الاولى، ٢٠١٠م.
٥. أطلس أصوات اللغة العربية، موسوعة عربية تشريحية- فسيولوجية- نطقية- صوتية- لغوية- تعليمية- علاجية، الدكتور وفاء محمد البيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٦. اكتساب اللغة الثانية، مقدمة عامّة، سوزان م. جاس، و لاري سلينكر، ترجمة الدكتور ماجد الحمد، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، (د ط).
٧. إكساب وتنمية اللغة، خالد محمد الزواوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر، والتوزيع، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٨. بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة، الدكتور صالح الشمّاع، مطبعة الحداد، العراق، البصرة، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٦٧م، (د ط).
٩. تطور اللغة عند الطفل وتطبيقاته التربوية، الدكتور عبد الرحيم صالح، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
١٠. التطور اللغوي عند الأطفال، الدكتور اليون اليوت، تحقيق الدكتور علي بلجوق الصهبي، والدكتور بشير محمد الشاوش، ومراجعة الدكتور أحمد محسن، والدكتور سعدون السويح، والدكتور العيد ابو ذيب، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
١١. دراسة الصوت اللغوي، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، (د ط).
١٢. سيكولوجية التطور الإنساني من الطفولة إلى الرشد، الدكتور شفيق فلاح علاونة، دار المسيرة للنشر، والتوزيع، والطباعة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م، والطبعة الثالثة، ٢٠١٠م.
١٣. سيكولوجية التنمية اللغوية لطفل الرياض، الدكتور محمد رفقي، دار القلم للنشر، والتوزيع، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٤. سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، الدكتور جمعة سيد يوسف، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، العدد خمس وأربعون ومئة، يناير، كانون الثاني، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
١٥. الصوتيات العربية، الدكتور منصور بن محمد الغامدي، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.(د ط).
١٦. الطفل واللغة، تأطير نظري، ومنهجي للتمثلات الدلالية عند الطفل، الدكتور الغالي احرشاو، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
١٧. علم الأصوات، الدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م، (د ط).
١٨. علم اللغة، الدكتور حاتم صالح الضامن، طُبع بمطابع التعليم العالي بالموصل، (د ط)، (د ت).
١٩. علم اللغة، الدكتور علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة، والنشر، والتوزيع، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٤م.
٢٠. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الدكتور محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، (د ت).
٢١. علم اللغة النفسي، الدكتور عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، (د ط).
٢٢. مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني، الدكتور عبد الجليل مرتاض، منشورات ثالة، الجزائر، ٢٠٠٣، (د ط).
٢٣. مجمع بحار الانوار في غرائب التنزيل ولطائف الاخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصدقي الهندي، (ت ٩٨٦ هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧.
٢٤. مدخل إلى علم اللغة، الدكتور محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة جديدة مزيدة ومنقَّحة، (د ط)، (د ت).
٢٥. المدخل إلى علم أصوات العربية، الدكتور غانم قدوري الحمد، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، (د ط).
٢٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد ختار عمر وآخرون، دار الكتب، الطبعة الاولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، منشورات الدعوة، (د ط)، (د ت).
٢٨. النمو اللغوي عند الاطفال، دراسة تحليلية، الدكتور عطية سليمان أحمد، تقديم الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م، (د ط).